



بؤني الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد آتني
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أول الأبياب

المعجزة

بؤني عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أرأيتك الذين هم آفكوا وقتك هم آفكوا إلا الأبياب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوتاً و«مناراً» كمنار الطريق)

﴿ مصر الاثنين غرة صفر سنة ١٣٢٤ - ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم الضالون في الإفراط والتفريط ما نصه

وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاة، ولم يفرطوا إفراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهو لاء على مذهبين مذهب الأشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فذهب أهل السنة كافة أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرا وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم إن الأشعري ومن وافقه منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه أنه قادر على فعله وإن كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما مر قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الأشعري ومن وافقه من المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون إن الله تعالى فعل عندها لا بها ويقولون إن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الأشعري إن الله

فاعمل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا اثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في ايجاد المقذور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبتته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طرفة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري وذلك انه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه واراادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لاني أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة متكلمة الاشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك مطلقا لمخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه أنهم سلبوا العبد قدرته واختياره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الأشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر ان يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون العبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكى عنه انه كان يخرج الى الجندی ويقول أرحم الراحمين بفعل هذا انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعماً منه انه ليس الامشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجع أحد المتأثرين بلا مرجح

ومذهب سلف الأمة وانجتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقولون بما دل عليه الشرع والمنال

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح ويهزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقولون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلا بد للمسبب من سبب آخر يشاركه ولا بدله من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والأقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد حصة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (١٥:٢٨ هذا من عمل الشيطان) وقال (٦٣:١٨) وما انسانيه الا الشيطان) مع قوله (٧٨:٤ كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعلمون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويتقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان أمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء، وأنه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وأنه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وأن العبد فاعل لفعله حقيقة فقومهم في خلق فعل العبد بإرادته وقدرته كقومهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فاعله خالق وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والمعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجهور المسلمين وجهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهنم بن صفوان واتباعه الجبورية فمن قال ان شيئا من الحوادث أفعال الملائكة والجن والأانس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والأدلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

ان ساء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققي أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد و ارادته و فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله ووجه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرائيني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبايع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيرا) وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبايع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في العجادات (وأخرجت الارض أنقاها) وقال (وأهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وقال (ندبر لكل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح - وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله - وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياساء ألقعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جدا

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصا مانصه :
ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فاعل العبد واقع بقدرته و ارادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدرته الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق: قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قولي كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه التي وصلت الى المتأخرين وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قولي هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان امام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد تقرر عند كل حاط بقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب بعباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تنعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم وممكنهم من التوصل الى امثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتوا الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اللبيب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما تيط بعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعدتم وعصيتم وأيتتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضعت الحججة لتلا يكون للناس

على الله سبحانه وأحاط بذلك كله ثم استراب في ان أفعال العباد واقعة على حسب
ايتارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على
جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب
بما جاء به الرسولون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في
مقدوره أصلا وإذا طوب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تجر بما وفرضا ذهب في
الجواب طولاً وعرضاً وقال الله ان يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه
المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حتى
أرى يد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف
وتقيض الصديق وقد فهمنا بضرورات العقول من الشرع المنقول أنه عزت قدرته
طالب عباده بما أخبر انهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة
والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر لقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر
للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبة بان يثبت في نفسه
ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه
ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول
بأن العبد خالق أعماله فإنه في الخروج عما درج عليه السلف الاثمة واقترام ورطات
الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد قدرته الحادثة والقدره القديمة
فان الفعل الواحد يستحيل حدونه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدره
الله استقل بها وينقطع أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بمضه بقدره الله فان
الفعل الواحد لا يعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين
ان يدعي الاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه مطالباً بالشرائع وفيه ابطال
دهوة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكاً لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام
يجعلها باطلة ولا ينبغي من هذا الملتطم ذكر اسم محض واقب مجرد من غير تمصيل
معنى وذلك ان قائل لو قال ان العبد يكتب وأثر قدرته الاكتساب والرب
تعالى مخترع خالق لما العبد مكتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأدبرت الاقسام
المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه بهر با- ثم قال يعني امام الحرمين فيقول

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقذور وبالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكن يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا وقع بالقدرة شيئا آل الواقع الى حكم الله من حيث انه وقع بفعل الله ولو اهدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا الاستبداد بالاختراع وانفراد بالخلق والابتداع فضلوا واضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتميز المذهبين فاننا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الآله قلنا أحدثه الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيا اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالخصايل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاختيارهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلم وقضاء وخلقها وفصلا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقها وهو القدرة ولو لم يرد وقوع مقبورها لما أقدره عليه ولما هيا أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استعمله الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب بأمر منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزول الى السيد من حيث ان سيده اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يرثر بالتصرف وينهي ويوبخ على المخالفة ومما يقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا سواه فيه لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا نهى عن فعله انفراد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحما للرب في التدبير موقفا ما أراد ايقاعه شاء الرب أو كرهه؟

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شيخه

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بان العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا في ايقاع أفعاله بمجرد مشيئته وان لم توافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرته اذا شاء الله ذلك ومكسبه منه وهو المعبر عنه بالاذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا وان في سابق رسالته سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المقول فيه كلام امام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بالحاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه ان النقل عنه بالتأثير بالاذن صحيح خلافا لمن إنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى « ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى » من غزوة بدر واعتقاد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وضافته الى الله وجعلهم ذلك أصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد فبسط الكلام في اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتأيدته بدلائل الكتاب والسنة الى ان نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا ووصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك ان لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الأشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقوالوا في قدرة العبد انها مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط قال وتفسير كلام الأشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الافراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بان لقدرة العبد تأثيرا ولكن باذن الله لا على الاستقلال فاللائق ان يفسر كلام الأشعري بما ينزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لانه ليس نصا في عدم التأثير فان أوله يدل على ان الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعملي ان لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على ان الأشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على ان

الكسب عند الأشعري تحصيل العبد بقدرته المؤثرة بأذن الله ما تعلقت به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به موذى الامر والنهي من المكاف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الأشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه - كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة الموعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر - ما يدل على انه أي الأشعري انما نفي الاستقلال لأصل التأثير بأذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للأشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الأسفرائيني قال وهو موافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الأسفرائيني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما غيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبمنه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضه على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للعبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا وهذا التمكين هو المعبر عنه بالأذن في قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد الا بأذن الله» انتهى، بلخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقيدتنا مذهب السلف المقر على الوجه المرضي المحرر تعلم ان محققي الأشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاعضاء عما ينهه الخلف وبالله التوفيق اهـ

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الأشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسيئتها ولا لقدرة لانسان في عمله وأن الله يخلق المسبب عند السبب لانه وأن العبد كاسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة

وتعزو هذا إلى الأشعري وكبار أنصاره ليعلموا أن كلام الأشعري ليس نصافي ذلك وأن
أكبر أنصار مذهبه وهم امام الحرمين والأسفرائيني والفزالي قالوا بخلاف ذلك
فلم يبق إلا الباقلاني عليه فهل ينحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الأشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطيب بسجن طره

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل
الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الأشغال وقد رأيت الآن أن أعود إليه بإيضاح
يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الإسلام . الذين يعدون النسخ
في القرآن دليلاً على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كاملاً كما تعتقد ولينطم
هو لاء المساكين أن ما يقذفونه به ليس إلا حصي لا تزحج طوداً من مكانه . ولولا غفلة
المنجيين إلى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونه بها ظناً منهم أنها ترميهم .
القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الإسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير
نشأ غالباً في العصر الأول أن صحت الروايات الأحادية الواردة في هذا الباب .
والذين قالوا به منهم إنما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ١٠٥:٣ « ما ننسخ من آية أو ننسها »
لآية فكان إذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها
شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة
في التفسير إلا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في
كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضاً في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم
كأبي مثلاً يقول أبي لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
بذلك أنه لا يترك حكماً بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد
في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبي وأقضانا علي وأنا لنأخذ
من قول أبي وذلك أن أياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه